نظام الزواج عند الماساي

إعداد

ياسمين شكرى حسين على

الملخص

قبيلة الماساي من القبائل العريقة في أفريقيا وهي من القبائل المنغلقة التي تحافظ بقدر الإمكان على موروثاتها من التقدم الذي يحدث الان، وتعتبر من القبائل البدائية نوعا ما حيث ماتزال تحتفظ بمعتقداتها وتوارثها جيل بعد جيل رغم اندماج بعض من الأجيال الحالية في التقدم، ولكن يمكن القول بأنها مازالت محتفظة بطابعها الخاص المميز وعاداتها وتقاليدها، والذي أكسبها طابعاً مميزاً جعلها من أهم القبائل في كينيا ومن أهم المزارات السياحية ايضا، مما يطفى عليها ميزة العراقة وإمكانية الاندماج مع العالم الحديث أيضا.

ويعتبر شعب الماساي شعب طقسي في المقام الأول، حيث أن كل ما يمارس في الحياة الاجتماعية عندهم هو ضرب من أنواع الطقوس، حيث أن نظام الزواج عند الماساي يمر بالعديد من المراحل ويخضع لعدة نظم خاضعة لما لديهم من موروث من التقاليد والعادات التي يعيشها مجتمع الماساي ،ونظام الزواج بين الماساي شأنه شأن نظم الزواج في المجتمعات الأفريقية الأخرى فهو لا يتمثل في كونه حدثا واحدا فقط، بل سلسلة من الأحداث المتسلسلة، بحيث تمهد كل مرحلة بشكل منطقي إلى المرحلة التالية في العملية، مما يعكس لنا القيمة الاجتماعية والثقافية التي تضيفها على مؤسسة الأسرة وعلى مجتمع الماساي.

و بالرغم من تمسك شعب الماساي الشديد بثقافته وعاداته وطقوسه لكن تعرض ايضا للعديد من التغييرات مثله مثل باقي شعوب العالم بسبب التقدم التكنولوجي والثقافي، وهذا التغير والتقدم ليس في نظام الزواج فقط بل في العديد والكثير من جوانب ثقافة شعب الماساي، وهذه التغيرات حدثت مع دخول المنظمات التبشيرية التي كانت بدايتها مع دخول الاستعمار إلي الأراضي الإفريقية والتي ساعدت علي نشر التعليم والسياحة ،ويواجه شعب الماساي اليوم العديد من التحديات بسبب محاولته المحافظة علي ثقافته وتراثه مع مواكبة التقدم والتطور التكنولوجي الذي يحدث في العالم ويؤثر علي جميع الثقافات والشعوب.

Abstract

The marriage system of the Maasai, through a social and anthropological perspective, has multiplied and passes through the feast of stages and is subject to several systems subject to what they have inherited from the traditions and customs that the Maasai community lives in, in which the role of women is weak and marginalized, especially in the space of making the decision to marry, even if it is with the friction and contact of the Maasai people Other peoples, civilizations and societies have entered this society and the systems and traditions of marriage have been affected by the customs and traditions of other societies that were not known in the Maasai community before.

The marriage systems among the Maasai, like the marriage systems in other African societies, do not represent only one event, but rather a series of sequential events, so that each stage logically paves the way to the next stage in the process, which reflects to us the social and cultural value that it adds to the family institution and to Maasai community.

The study dealt with the changes that affected the Maasai culture of education and tourism, the challenges facing the Maasai tribe and the extent of the impact of globalization and modern technology on the society, heritage and marriage systems of the Maasai people.

النظام:

تعرف كلمة النظام في اللغة العربية كما ورد في معناها في لسان العرب:

النّظْمُ التأْليفُ نَظَمَه يَنْظِمُه نَظْماً ونِظاماً ونَظّمه فانْتَظَم وتَنَظّم ونظَمْتُ اللؤْلؤَ أي جمعته في السِّلْك والتنظيمُ مثله ومنه نَظَمْتُ الشّعِر ونَظّمْته ونَظَمَ الأَمرَ على المثَل وكلُّ شيء قَرَنْتَه بآخر أو ضَمَمْتَ بعضَه إلى بعض فقد نَظَمَتْه، والنِّظامُ ما نَظَمْتَ فيه الشيء من خيط وغيره وكلُّ شعبةٍ منه وأَصْلٍ نِظامٌ ونِظامُ كل أَمر مِلاكُه والجمع أَنْظِمة وأَناظيمُ ونُظُمٌ.[١]

يُمكن تعريف النظام باللاتينية (systēma :من اليونانية σύστημα سيستيما) (System)بأنّه "مجموعة من المدخلات والأجزاء التي تتشابك معاً في العناصر لتعمل وفق غرضٍ معيّن، وهو مجموعة عناصر تشكل بمجموعها كلاً واحداً مع بعضها البعض حيث يرتبط كل عنصر بالآخر، بالتالي أي عنصر ليس له أي ارتباط بأحد عناصر النظام لا يمكن اعتباره جزءا من هذا النظام.".[٢]

ومما ورد في تعريف النظام في الاصطلاح القول بأنه: "مجموعة المبادئ، والتشريعات، والأعراف، وغير ذلك من الأمور التي تقوم عليها حياة الفرد، وحياة المجتمع، وحياة الدولة، وبها تنظم أمورها، ولعل هذا التعريف على إجماله يلم بدلالات النظام وبجوانبه المتعددة، وقد يطلق النظام ويراد به معنى عاماً فيكون: "أحد مفاهيم العقل الأساسية، ويشمل الترتيب الزماني، والترتيب المكاني، والترتيب العددي، والسلاسل والعلل، والقوانين، والغايات، والأجناس، والأنواع، والأحوال

١- ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، بيروت، ٢٠١٠ص ٥٧٨.

[2] https://ar.wikipedia.org/نظام

الاجتماعية، والقيم الأخلاقية والجماعية، وتحت هذا المعنى العام يكون النظام في المنطق الرياضي، والنظام الطبيعي، والنظام الاجتماعي، والنظام الأخلاقي.[١]

تتراوح الأنظمة بشكل عام بين مبسط ومعقّد، فهناك أنظمة بيولوجية مثل القلب، وهناك أنظمة ميكانيكية مثل الترموستات، وغيرها من الأنظمة البشرية والاجتماعية والبيئية، كما ويقوم النظام العالي الأداء على تبادل الملاحظات باستمرار بين أجزائه المختلفة بشكل متوائم ومتوافق لتحقيق هدف النظام ،يُمكن تعريف النظام المفتوح (Open System)بأنّه نظام يسمح بتدفق المعلومات والمواد والطاقات بينها وبين البيئة، ممّا يؤدي إلى حدوث عمليات التكيّف جرّاء هذا التبادل، حيث يتميّز النظام المفتوح بتبادل المواد والمعلومات والطاقات المختلفة ممّا يؤدي إلى تفاعل الأنظمة المفتوحة مع بيئتها فينمو النظام وتتم عملية تجديده.[٢]

الزواج:

ويعرف المعجم العربي الزواج علي أنه:"أقتران ذكر بأنثي أو رجل بأمرأة بعقد شرعي يقال عنه أنه قران ونكاح".[٣]

والزواج بالمعني الفقهي(الأسلامي):" هو سنة كونية أصيلة وضرورة أساسية من الضروارت التي لا غنى عنها في الحياة التي تقتضي تنظيم العلاقة الجنسية بين الرجل و المرأة، و ضبطها بحدود شرعية أقرها القران والسنة".[٤]

ويعرف علم الاجتماع الزواج علي إنه:"مؤسسة أجتماعية لها نصوصها وأحكامها وقوانينها وقيمها التي تختلف من حضارة إلى أخرى، فالزواج علاقة جنسية بين

---

[1] -https://www.manhal.net/art/s/3696

[2]- https://mawdoo3.com/تعريف_النظام

٣-محي الدين صابر:المعجم العربي الاساسي للنطقين باللغة العربية ومتعلميها،المنظمة العربية للترجمة والثقافة، تونس،١٩٨٦،ص٥٦١.

٤-حليم بركات:المجتمع العربي المعاصر، بحث أستطلاعي،مركز دارسات الوحدة العربية بيروت،١٩٨٦،ص١٩٨.

الرجل والمأرة يشرعها ويبرر وجودها المجتمع وتستمر لفترة طويلة من الزمن يستطيع من خلالها الشخصان المتزوجان البالغان انجاب الأطفال وتربيتهم تربية اجتماعية وأخلاقية يقرها المجتمع ويعترف بوجودها وأهميتها".[١]

وتقر جميع تعريفات الزواج بأنه: نظام إجتماعي يربط بين الرجل والمرأة بطريقة مشروعة تتفق مع مبادىء وقوانين المجتمع الذى ينبع منه وتنتج عن هذه العلاقة حقوق وواجبات لكلا الطرفين وأولادهما.

الزواج في إفريقيا:

تنتمي شعوب إفريقيا إلى جماعات عرقية وجنسية ولغوية ودينية عديدة، والواقع أن هذا التعدد ينشأ عنـــه تفاوت كبير في أنماط العلاقات الاجتماعية والأسرية وأنواعها في البيئة الإفريقية، إن الزواج هو الوضع الاجتماعي الضروري لكي يكون المرء رجلاً مكتمل الرجولة، ومستحقاً للحصول على حقوقه القانونية من استقلال عن الأسرة، فالزواج يجعل له ذمة منفصلة، لذا فهو البدء للاستقلال عن الأسرة والشروع في تأسيس سلالة جديدة.[٢]

وتعد علاقة الرجل بالمرأة من خلال نظام الزواج هي حجر الأساس الذي يقوم عليه شكل النظام القرابي في المجتمع الأفريقي، فهي تؤدي إلى إيجاد روابط قرابية لم تكن موجودة من قبل كالأب والأم، ومن قرابة المصاهرة بين أقارب الاثنين، وهي تعمل بذلك على توسيع علاقات المشاركة بالتواصل بين أفراد المجتمع ،ويعد الزواج الأساس الذي تقوم عليه الأسرة؛ حيث يعتبر نظاماً اجتماعياً تنطبق عليه أهم خصائص النظم الاجتماعية.

١- أحسان محمد الحسن: العائلة والقرابة والزواج،دار الطليعة للطباعة والنشر،بيروت،١٩٨٥،ص١٥.

2- https://www.aranthropos.com//الزواج-في-إفريقيا-النسق-القرابي-وطريق

فالزواج يقوم بأداء وظيفة هامة في الحياة الاجتماعية في كافة المجتمعات الأفريقية، وهو يعتبر نوعاً من السلوك المقنن، ويتمتع بقدرة كبيرة على الصمود في وجه التغييرات التي تحدث في المجتمع، فإذا كان الزواج رد فعل واستجابة لدوافع الجنس عند الإنسان؛ إلا أنه يتم أيضاً من خلال نسق ثقافي خاص بنظام الزواج؛ من حيث الاكتفاء بزوجة واحدة أو الاقتران بعدة زوجات مثلاً، ومن حيث الأفراد الذين يجوز الزواج من بينهم كالزواج داخل الجماعة القرابية ، ويشمل ذلك أيضاً من يحرم الزواج منه، ومن حيث الإجراءات التي تتخذ في سبيل تحقيق الزواج، مثل: الخطبة والمهر وقيمته وعقد الزواج ومظاهر الاحتفال به، وما يترتب على الزواج من حقوق كالميراث.[١]

يعد الزواج مرحلة مهمة في دورة تكوين الأسرة فهو عملية معقدة ذات أبعاد شخصية وعاطفية واقتصادية واجتماعية ودينية وأحيانا سياسية، تلك الأبعاد التي تتداخل معا بقوة في كثير من الأحيان، ويشير مفهوم الزواج ألي العملية التي بمقتضاها يتشكل اتحاد زوجي بشكل دائم بين شخصين بالغين من الذكور والإناث، وفي الزواج يستثمر الشريكان في المقام الأول مواردهما البشرية وقدراتهما في شكل من أشكال الحب والعواطف والالتزام والصبر والإخلاص والحماية ، بالإضافة إلي مواردهما المادية ،وقد يصادق القانون علي هذا الاتحاد ، وبمجرد التصديق يصبح هذا الاتحاد بمثابة اتحاد شرعي بين الزوج والزوجة، وتشير عبارة (الزوج والزوجة) إلي الحقوف المتبادلة كافة في الاتصال الجنسي والحياة داخل الاتحاد المشترك الدائم لشخصين (الزوج والزوجة)أو أكثر(الزوج والزوجة وأطفالهما) وتختلف تلك الحقوق والواجبات الزوجية باختلاف المجتمعات وباختلاف معدل وسرعة عمليات التنمية والتغير.[٢]

-[١]الموقع السابق.

-[٢]يترأتيكيريزا، التغيرات الطارئة علي عملية الزواج لدي الباكيجا بجنوب غرب أوغندا، ترجمة، محمد جلال حسين، مجلة الفنون الشعبية ، عدد خاص ، أفريقيا ، عدد ١٠٥ ، أكتوبر –ديسمبر، القاهرة ، ٢٠١٩. ، ص ١٧.

وفي أفريقيا كانت أهمية الزواج في المقام الأول تتمثل في الإنجاب خشية الموت الاجتماعي بعد الموت الجسدي، أي عدم وجود أشخاص يحتفظون في ذاكرتهم بشخصية الشخص المتوفي، حيث كان يعتقد أن الموت قبل الزواج أو الإنجاب يعزل الشخص المتوفي تماما عن بقية المجتمع البشري، ويفقده صلاته به.[١]

الزواج عند الماساي:

إن عملية الزواج بين الماساي شأنها شأن عملية الزواج في المجتمعات الأفريقية الأخرى فهي لا تمثل حدثا واحدا فقط، بل سلسلة من الأحداث المتسلسلة، بحيث تمهد كل مرحلة بشكل منطقي إلى المرحلة التالية في عملية الزواج، مما يعكس لنا القيمة الاجتماعية والثقافية التي تضيفها الماساي على مؤسسة الأسرة في مجتمعها، وتفرض أيضا العديد من الشروط والطقوس حتي يكتمل الزواج بصورة صحيحة .

فبعد أن يمر الرجل بمراسم إيونوتو(وهي مرحلة المحاربين التي تدل علي نضج الرجل وتحمله للمسئولية والاعتماد عليه في كافة شئون الحياة) وحتي يسمح له بالزواج، هنالك شروط يجب مراعاتها حيث يكتمل الزواج بالصورة الصحيحة :
فعند الماساي لا يسمح لأحد بالزواج داخل عشيرته ولا يسمح للرجل بالزواج من امرأة أكبر منه سناً، وخلافً لذلك هو حر في اختيار عروسه، ويشتهر مجتمع الماساي بتعدد الزوجات فيتزوج الرجل عدة زوجات فعدد الزوجات والاطفال والماشية لها دلالة وعلامة من علامات الثروة في مجتمعهم، "ومن العادات الاجتماعية الغريبة أنهم قد يزوجون الفتيات قبل ولادتهن ، كما يحق للرجل أن يتزوج إلى عشر زوجات متعمداً على عدد الأبقار التي يملكها، ولكن لا يحق لمحارب الماساي أن يتزوج أكثر من امرأة إلا عندما يصل سن نضج معين وتسقط عنه بعض مهامه في الحراسة والرعي وتسمى الفتاة حينما تبلغ سن البلوغ أسيانكيكي ودائما ما نجد الزوجات أصغر بكثير من الأزواج من ناحية الأعمار ويمكن أن يحجز الرجال الكبار فتيات بعينهن ليكن زوجات المستقبل عن طريق دفع هدية لأهلها قبل بلوغها وعندها لا يجوز لها أن تتزوج بآخر عندما تبلغ.[٢]

-[١]بيترأتيكيريزا، مرجع سبق ذكره ، ص ١٧.

[2]- www.marefa.org.

وعندما يريد الرجل أن يتزوج من نفس قبيلته، فإنه يبدأ بأخذ زمام المبادرة من خلال الثناء علي الفتاة التي اختارها في أسرته، ثم يمنحها هدية، قلادة صغيرة أو جوهرة، ثم يحضر كمية من العسل للنساء من عشيرة زوجته المستقبلية، والذين يعطون العسل بدورهم لأم الفتاة المختارة، فإذا قبلته، يكون ذلك أول درجات الموافقة، ثم تعطى الأم لأبنتها طبق من الزبد لتأكله وإعلامها بأن كل الأسرة تبارك هذا الزواج وبعد فترة من الوقت يبدأ الشاب في إحضار المزيد من العسل لأسرة الفتاة المختارة، وعشيرتها، بهدف إعلام الجميع برغبته في الزواج من فتاتهم، وبعدها يبدأ رجال عشيرة البنت في تجهيز كمية من البيرة وتخميرها لدرجة معينة ويتم التحضير للاجتماع الكبير للأب، والأخوة، وكبار السن من العشيرة، وشباب من فئته العمرية، للمناقشة وأخذ رأى الجميع وتناول البيرة خلال هذا المجلس، ويترك الأب والشيوخ المناقشة للجميع ويكون رأيهم، ورأى الأب هو النهائي، ولكن بعد سماع الجميع باهتمام[1].

تحرص الفتاة عند الماساي على الزواج في سن مبكر بعد اتمام عملية الختان فتزورالمانياتا(معسكر المحاربين) للرقص والغناء وتكون فرصة للتعرف علي المحاربين المقبلين علي الزواج ، وعندما يقدم المحارب علي خطبة فتاة ويطلبها من والدها يقوم بأرسال هدايا مثل التبغ ،العسل ،ماشية ،والحبوب ،وقبل إتمام الزواج يدفع المهر وهو عبارة عن ماشية وعندما تكون الماشية جاهزة للحلب ومعها عجل صغير تقام الاحتفالات بالزواج وغالبا ما يختار أو يفضل الماساي الزواج في موسم أنتاج العجول لأنه يكون غني باللبن فالبقر يعطي لبنا غزيرا في هذا الوقت يكفي الاحتفال والضيوف ، ويتم الاتفاق على عدد الأبقار التي يجب على الزوج أن يقدمها وغالباً ما تكون ثلاث بقرات وثور للأب وخروف للأم، وعلي الفتاة أن تقوم بطقوس معينة قبل الزواج ولكن هذه الطقوس خاصة جداً ، فبعد مغادرة المانياتا

[1] -http://ciaes.net/أثار-العولمة-على-المرأة-فى-شعب-ماساى/

تذهب الفتاة إلى (إيكانج) بيت والديها حيث يجرى لها نوع من الختان ويذبح والدها خروفاً ويأتي بخمر مصنوع من العسل لضمان أن تنجب عدداً كبيرا من البنين والبنات، ويتم حلق شعر رأسها إشارة للولاء لزوجها، وعندما تتم الترتيبات ودفع المهر تقام وليمة في منزل الفتاة وتغادر في مراسم احتفالية إلى منزل زوجها التي يجب أن تصله بمساعدة أمهما وأخواتها وهي تحمل معها عقودا عكفت على نظمها منذ الصغر أو تجهزها أمها لها وتلبس رداء جديد من الجلد وتضع زينة جديدة في أذنيها وكذلك خبزا خاصاً من الدقيق والعسل وهدايا من قبل أهلها وأصدقاء أسرتها ،ولا تحمل الفتاة معها إلا زينتها ،وبعض الأواني الفخارية المصنوعة من القرع العسلي وهي نفس الأشياء التي تحملها معها عند الارتحال ،حيث تنتقل الفتاة للعيش مع الزوج في كوخ والدته أو زوجته الأولى وتقوم الفتاة ببناء الكوخ الخاص بها وزوجها غالبا بعد انجاب الطفل الأول ويعد انجاب الطفل الأول بمثابة التوازن العائلي والاجتماعي للزوجان. [١]

وفي ثقافة شعب الماساي ، ستخضع العروس للأذى كثيرًا حتى قبل أن تبدأ حياتها الزوجية، سوف يحلق رأسها ويفركها العريس بدهن الخروف ويبصق عليها، ثقافتهم تؤذى المشاعر والقلوب، فبعد أن تغادر العروس القرية مع زوجها لا تنظر إلى الوراء أبدًا، ويمكن لها أن تتحول مشاعرها لحجر، ومن العادات والتقاليد الغريبة في مراسم الزواج لدى شعب الماساي في كينيا وتنزانيا أن يقوم والد العروس بالبصق عليها، كنوع من مباركة الزواج وهي عادة متوارثة منذ القدم[٢].

---

[١]-ناصر كرم الحاوي، دراسات عن الماساي المجلة الأفريقية للعلوم والسياسة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة،٢٠١٢. ص ٨.

[2] -http://www.manar.com/page-42127-ar.html

مجتمع الماساي متعدد الزوجات، مما يعني أن الرجل يمكن أن يكون له عدة زوجات، وهذا يعني أن الفتاة قد تتزوج برجل مشابه لعمرها، أو من رجل أكبر منها سنا، وتعتقد النساء عمومًا أن وجود أكثر من زوجة في المنزل يعود بالفائدة عليهن، لأنه يوفر الرفقة، ويساعدها في الأعمال المنزلية، وللزوجة الأولى مكانة عالية حتى أنها تنادى باسم ماما من الزوجات الاخريات وهي صاحبة القرار والسيطرة عليهم وعلى أولادهم ،و تتمتع الزوجة الأولى تقليديًا بمكانة أكبر في المنزل، وهي مسؤولة عن تعليم أي زوجات جدد أفضل طريقة لتحمل مسؤولياتهن ورعاية أسرهن.[١]

ومن المسلم به أن نساء الماساي المتزوجات لديهن عبء عمل يفوق بكثير عبء الرجال المتزوجين، يبقون في المنزل، ينظفون منازلهم، يطبخون، ويصنعون الملابس وأدوات الطهي، يعتنون بالأطفال الصغار، يجلبون الماء والحطب، ويقوموا ببناء المنازل وحظائر الحيوانات، مع الاهتمام بالماشية وحلب ألبانها، المسؤوليات المذكورة هي تلك التي تتولاها امرأة الماساي في يوم عادي حيث إنه قد يكون هناك أكثر من زوجة واحدة في كل منزل، فإن النساء يتقاسمن عبء العمل بينهما، ويجوز لهن تفويض المهام للأطفال والنساء غير المتزوجات في المنزل.[٢]

ويعتقد الماساي أن لحدوث التوازن لابد أن تستخدم المرأة قدر الطهي على ثلاثة أحجار، وكذلك الخصمان لابد لهم من ثالث حتى يفض النزاع أو كوسيط فأي شيء غير متوازن يشبه بقدر الطهي عند الماساي ،وتعد هذه النظرية من أهم النظريات التي تطبق في المحاكم فيتداول ثلاثة قضاة للنطق بالحكم ويدل ذلك على أن للماساي نظريات تنظم حياتهم الاجتماعية.[٣]

---

[1]- Jennifer Sharp And Langkawi Twati, Documentation of Maasai Culture, December 2016, pp.,5-6

٣-ناصر كرم الحاوي، مرجع سابق،ص٨.

[2]-Jennifer Sharp And Langkawi Twati, Ibed., p., 6

.

وفي الغالب يتم ترتيب معظم زيجات الماساي من قبل الوالدين، وأحياناً عندما يكون الطفلان لا يزالان صغيرين ستحصل الأسرة التي توفر الفتاة لزوجها في المقابل على الأبقار والحيوانات الأخرى، وبالتالي ترغب الأسرة في ترتيب الزواج من عائلة يمكنها توفير مهر جيد للعروس، وهي أيضًا طريقة للتأكد من أن الفتاة الشابة سريعة التأثر لا تختار لنفسها زوجًا سيئًا، قبل الزواج، تخضع الغالبية العظمى من النساء لحفل الختان، المعروف أيضًا باسم ختان الإناث، هذا الحفل، على الرغم من عدم شرعيته، يرمز إلى الانتقال من مرحلة الطفولة إلى الأنوثة، والاستعداد للزواج، عادة ما يحدث الختان للفتيات في سنوات المراهقة المبكرة، على الرغم من أنه بسبب عدم شرعية هذه الممارسة الحالية، غالبًا ما يحدث في مرحلة مبكرة من الطفولة لتجنب اكتشافها ومع ذلك ، يظل الختان مقدمة مهمة للزواج، قد يتم الزواج بحد ذاته عندما تكون الفتاة في سن المراهقة المبكرة إلى منتصفها.

مجتمع الماساي هو مجتمع أبوي بقوة، وللرجال سلطة على زوجاتهم وأطفالهم، وهذا يعني أن القرارات النهائية بشأن بيع الماشية وترتيب الزيجات وغيرها من القرارات العائلية المهمة تظل في أيدي الرجال، كما أن حريات المرأة الشخصية محدودة في بعض الأحيان، ويجب أن تطلب إذن زوجها للمغامرة بالدخول إلى المدينة، أو المشي لمسافات طويلة لزيارة الأقارب أو الأصدقاء على النقيض من ذلك، فإن الاستقلالية الجنسية هي أكبر بكثير في زواج الماساي ، ويعتبر الزنا جانبًا لا مفر منه في أي زواج، ينقسم رجال الماساي إلى مجموعات عمرية ، وتعتبر الزوجات متوافقين مع مجموعة عمر أزواجهن، يُسمح للأفراد من نفس الفئة العمرية بممارسة نشاط جنسي مع زوجات بعضهن البعض ، ويُسمح للزوجات باختيار شركاء جنسيين خارج نطاق الزواج بشرط ألا يكونوا في سن أقل من عمر أزواجهن، ومع ذلك ، نظرًا لأن العديد من الزوجات أصغر سنًا من أزواجهن ، فإن النشاط الجنسي مع الرجال في فئة عمرية أصغر أمر شائع أيضًا، ومع ذلك ، إذا تم القبض عليه ، ستضطر عائلة المرأة والشاب إلى دفع شكل من أشكال التعويض لعائلة زوجها لتعويض أي مخالفة.

العائلة في الماساى هي وحدة متماسكة بإحكام، حيث يكون لجميع الأعضاء أدوار محددة ولا تشكل الفتيات والفتيان والنساء والرجال هيكلاً اجتماعيا فحسب، بل يشكلون معاً وحدة اقتصادية مترابطة يصب كل أفرادها لصالح الأسرة "الأب والأم والأبناء" ولصالح الأسرة الممتدة وهى "كل فروع الأسرة" مما يشكل دعماً نفسياً واجتماعيا قوياً بالإضافة للشعور بالأمان لجميع الأفراد والذى يصب في النهاية لصالح الجميع في العائلة الكبيرة، وبالنسبة للزواج ليس للفتاة رأى في اختيار الزوج، أما بالنسبة لحقوق الملكية، نجد أنه ليس للفتاة أي حق للوراثة في ممتلكات منزل والديها، ويعتبر هذا إجراءً احترازيا لأنها سوف تتزوج وفقًا لاختيار الأسرة، وستنتقل إلى منزل زوجها، وينطبق الشيء نفسه مع الثروة الحيوانية.

فقد تتمكن الفتاة من الوصول إلى المخزون في منزل والديها للمحافظة على مصدر رزقهما، لكن دون امتلاكه، معظم الأسر متعددة الزوجات، وكلما زادت الموارد زادت الزوجات والأطفال، وكان وضع الزوج ومكانته في المجتمع أعلى وترتبط العائلات بعلاقات الدم، وتشمل الزوج والزوجة وأطفالهم والزوجات وأطفالهن وكذلك عشائر الأزواج التي قد تضم مئات من أفراد المجتمع الآخرين، ويتم إنشاء روابط قوية بين مختلف أفراد الأسرة الكبيرة من خلال تبادل الموارد المتاحة لدى كل منهم كدليل على حب المصلحة المتبادل بين الجميع، كما نجد أن كل فرد من أفراد الأسرة مسؤول عن رفاهية بعضهم البعض وهذه المسئولية تشمل الأطفال حيث يتم معاملة كل طفل على أنه "طفلنا" للجميع، وكذلك استكمال عملية التنشئة الاجتماعية للطفل هي مسؤولية جماعية لجميع أفراد مجتمع الأسرة الكبير، وكذلك بالنسبة للموارد تعتبر موارد للأسرة الكبيرة، وأن الحفاظ عليها وتنميتها مسئولية الجميع على الرغم من كفاح وتمسك الماساي للحفاظ على طريقة حياتهم التقليدية لفترة طويلة إلا أنه من الواضح الآن أنه لم يعد بإمكانهم مقاومة ضغوط العالم الحديث وبدأت ثقافة الماساى تندثر بسرعة، ويكافح الماساي حاليًا للحفاظ على تقاليدهم ويبحثون بدلاً من ذلك عن وسائل بديلة للبقاء من خلال الانخراط في أشكال معيشية أخرى وممارسات غير مألوفة لهم.[١]

[1]- Jennifer Sharp And Langkawi Twati Ibed., p., 1

الزي والزينة في مرحلة الزواج:

بالنسبة للعروس وكما ذكرنا يتم حلق شعر رأسها وتلبس رداء جديداً مصنوع من الجلد وتضع زينة جديدة في أذنيها ورقبتها، فعروس الماساي تلبس الكثير من العقود التي عكفت علي صنعها منذ الصغر أو التي صنعتها لها أمها.

أما بالنسبة للرجل فلبس الرجل المتزوج أقل روعة وهو حليق الرأس، وأذا كان ثريا ربما يرتدي حلقة ذراع من العاج وحلي للرأس، ولكنه الأن أقل اهتماماً بمظهره ويقضي معظم الوقته في الاهتمام بأبقارة بدلاً من تزين نفسه.[١]

البناء الاجتماعي للماساي

يعيش الماساي في مجتمع يتألف من عشائر ذات نظام أبوي، والنظام الأبوي يطلق عليه الأنثروبولوجيون نظام القرابة في خط الذكور أي الانتساب إلي الأب، فمن خلال قرابته يستطيع الشخص في المجتمع الأبوي أن يتتبع نسبه ويحدد طبقته ويصبح من حقه أن يحصل على مناصب معينة، فكأن النسق القرابي يعتبر عنصرا مهما في الحصول علي امتيازات معينة.[٢]

ويمارس الماساي الزواج الاغترابي Exogamy، وهو الزواج من خارج القبيلة أو العشيرة أو البدنة، حيث تحرم بعض القبائل علي رجالها الزواج من نساء القبيلة حيث يعتبرون محارم لهم، ومن خالف ذلك وقع تحت طائلة العقوبة التي يفرضها المجتمع، والتي تصل إلي حد القتل أو النفي والطرد من المجتمع، حيث يعتبر هذا الزواج زنا بالمحارم.[٣]

٢-فاطمة حسن عثمان، مقارنة الوحدات التصميمية الزخرافية في الاكسسواراتوالزينة التقليدية لدي قبائل جبال النوبة السودانية وقبيلة الماساي الكينية، ٢٠٢٠،ص١١٥.

[٢]أحمد أبو زيد، البناء الاجتماعي، مدخل لدراسة المجتمع، الاتساق، ج ٢، ط ٣، الإسكندرية، ١٩٧٩ ص ١١٣

[٣]ايفانز برتشارد، الأنثروبولوجيا الاجتماعية، ترجمة، أحمد أبو زيد، ط٢، الإسكندرية، ١٩٦٠ ص ١٨٨

ولكن الزواج لا يحدث إلا بعد أن يكبر الشاب، ويتموا فترة المحاربين ويصلوا إلي مرتبة الرجولة في نحو الثلاثين أو بعد ذلك بقليل، ويشتمل المهر علي بعض الماشية والغنم ومقدار من جعة العسل، والمهر عند الماساي لا يدفع إلا بعد ولادة الطفل الأول، ويعتبر هذا بمثابة تأكيد للزواج، وبعدها تستطيع الزوجة الانتقال إلي منزل الزوج، ومتي انتظمت الحياة الزوجية أعطي الرجل زوجته شطرا كبيرا من الماشية ليكون في رعايتها، أما الزوجة الثانية فيكون نصيبها أقل من الأولي، والعادة أن تعطي الزوجة الكبرى بعض ما عندها للصغرى، ومع ذلك فهذه الماشية ليست ملكا للزوجات، بل هي بمثابة أمانة عندهن حتي يرثها الأبناء، وكل زوجة يحصل أبناؤها علي ما لديها بعد وفاة الوالدين.[١]

العولمة ونظام الزواج عند الماساي

كان للعولمة كنظام سياسي، واقتصادي، نصيب كبير من اّلآثار الإيجابية والسلبية على الحياة وسبل العيش في مجتمعات الرعاة في شرق أفريقيا، وخاصة قبائل الماساى، باعتبارهم أهم الرعاة في شرق أفريقيا. وقد كان دخول المستعمرين لهذه المناطق في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، تمهيدًا وبدايًة لانفتاح هذه المناطق وغيرها على الحضارة الحديثة، وبداية تناقص مساحات كبيرة من الأراضي المخصصة للمراعي لصالح الأطماع الاستعمارية، وعدم توفير البدائل المناسبة لهم، مما أدى أيضًا إلى الهجرات المتكررة لقبائل الماساى في كل من كينيا وتنزانيا.

ويحتفظ الماساي بأعداد كبيرة من الماشية بهدف الحماية ضد صدمات البيئة الغير متوقعة، مثل الجفاف الغير متوقع، والأمراض الوبائية، والمجاعات، ومن الأقوال المأثورة عند المرأة في شعب الماساى والتي تؤكد ارتباطها بالأرض والأسرة **"هناك**

[١] خيري عبد الحافظ بدير، في بحور الأنثروبولوجيا، المكتبة الأكاديمية، القاهرة،٢٠٠٨ ص ٨١

شيئان لا يمكن التخلي عنهما، الابن والأرض"، وقد شعر الماساى بأثر العولمة لأول مرة بعد مؤتمر برلين في الفترة من ١٨٨٤-١٨٨٥، حيث تم تقسيم القارة الأفريقية من قِبل القوى الاستعمارية الأوروبية في ذلك الوقت، والتي فرضت حمايتها على القارة الأفريقية من خلال رسم حدود جديدة بهدف تقسيم المجتمعات الأفريقية إلى عدة بلدان تحت سيادتها. وكان هذا هو الحال بالنسبة للماساي في شرق إفريقيا، الذين وُضعوا تحت حماية البريطانيين في كينيا والألمان في تنزانيا.[1]

العولمة هو مصطلح واسع من ناحية المفهوم، ويختلف من كاتب إلى اخر، حيث يطلق عليه أحياناً " **التزاوج بين الثقافات** " وقد تجعل الناس من الشعوب البدائية، يتطلعون إلى أن يكونوا أعضاء في ثقافات أخرى تبدو أكثر جاذبية لمشاعرهم، وبالتالي يمزجون الثقافات، أو يتخلون عن ثقافاتهم ويتحولون إلى ثقافات أخرى حيث تتسرب بعض المفاهيم أو الثقافات الغير مناسبة لثقافة وتقاليد المجتمع وهذا ما يتضح بشدة فى الرعاة بشعب الماساي والذى يعيش حالياً في مرحلة انتقالية من خلال محاولة تمسكه بقوة "بالتقاليد والثقافات الموروثة"، مع تبني "طريقة الحياة الحديثة" والتي هي أكثر رفاهية وجاذبية كما ذكرنا سابقاً، خاصة للأجيال الأصغر سناً، ويعيش الماساى خلال السنوات الأخيرة فى معادلة صعبة "لتحقيق التوازن" بين هذين النقيضين، ومع ذلك فإن الماساي وغيره من الشعوب الأصلية الأخرى لا يمكن أن يعيشوا في عزلة ويجب عليهم تأمين مكانهم في عصر الانفتاح الاضطراري بدون خيارات ولكن بالأسلوب الذى يناسبهم، لأنه على الرغم من أنه غالبًا ما يُنظر إليه كمجتمع تقليدي غير متحرك إلا أن ثقافة الماساي مثلها مثل كل الثقافات ديناميكية ومتغيرة حيث أن تأثيرات العولمة والتكنولوجيا الحديثة بدأت تتضح في مجتمع الماساي كما هي في أي مكان آخر من العالم، وقد بدأت منظمة "سيمبا

[1]- Koissaba Ben R, Globalization and Its Impact on Indigenous People in Kenya, Clemson University, Clemson City, USA, December 2012, pages 2-5.

ماساى للتوعية" فى كينيا وهى منظمة غير حكومية تضم حوالى ٥٠٠ عضو بجمع وتخزين وتوثيق المواد الثقافية ذات القيمة فى مجتمع الماساى ومعظم هذه العناصر معرضة للاندثار وهو أمر بالغ الأهمية وتم جمع وعرض كافة العناصر التى تم جمعها فى متحف محلى باسم " بيت المعرفة البصرية " ويعتبر من المقاصد السياحية التى تخصص إيراداته لصالح شعب الماساى.[١]

وهناك اعتقاد خاطئ يروجه الإعلام وكافة الأدبيات الغربية، بأن شعب الماساي لا يزال من الشعوب البدائية وأنه لا يزال يمارس الحياة البربرية التي عفا عليها الزمن، ويُظهر صورهم دائماً شبه عارية على أغلفة كتب السفاري المصورة، والتي تهدف إلى جذب السائح طمعاً في الثروة التي تجنيها هذه الجهات، والتي تعود عليهم بأرباح طائلة، لقد تم إساءة استخدام سماتهم الساذجة والطيبة وإساءة تفسيرها على أنها تعني البدائية والتخلف ولكن بالنسبة لأولئك الذين يعرفونهم، فإن الماساي هم في الواقع شعوب ذكية ومسالمة ينتشر بينهم الحب والمودة، خاصة مع الضيوف.[٢]

ويحضرني هنا مقولة الزعيم الأفريقي "جوليوس نيريرى" ، وهو أول رئيس لجمهورية تنزانيا المتحدة، حيث قال: " كل من يتخلى عن ثقافته هو عبد "وكان الرئيس نيريري يهدف إلى إظهار أن هوية الشخص متأصلة في ثقافته وأنه إذا تركت تراثك الثقافي وراءك ، فأنت تتخلى عن هويتك وبمجرد أن تفقد هويتك تصبح عبداً بالفعل.[٣]

---

[1] -Daniel Salau, Globalization Entrenches Itself on the Maasai, Global Policy Forum, New York, USA, September 2002, page 1-2.

[2]-Jandt Fred, An Introduction to Intercultural Communication: Identities in a Global Community (fifthed), International Journal of Intercultural Relations, California USA, 2007.p.,2

[3]- Elias Yesaya Mollel, Thesis submitted in Partial Fulfillment of the Degree of Master Program in Global Studies, School of Mission and Theology, Oslo, Norway, May 2011, , page 1.

رغبة فتيات الماساى في التعليم، ورفضهن للزواج المبكر:

فمن أهم التغيرات التي حدثت بسبب التقدم والعولمة في شعب الماساي هو تعليم الفتيات ،ويعتبر تعليم الفتيات من أهم التحديات التي تقوم بها المنظمات التوعويه في أرض الماساي ،فهذه المنظمات تقوم بحملات توعويه للرجال والنساء لتوعية بأهمية التعليم خاصة للفتيات ،لأن تواجه الفتيات حواجز خاصة في التعليم، مثل الإحجام عن إرسال الفتيات للمشي لمسافات طويلة من المنزل بسبب خطر الحيوانات البرية، كما تحرم الفتيات من التعليم بسبب الزواج المبكر وختان الإناث أو بسبب الحمل المبكر نتيجة ارتفاع مستويات النشاط الجنسي في سن مبكرة، وقلة المعرفة بالجنس الآمن. بالإضافة إلى ذلك، تحذر العائلات من تعليم الفتيات، حيث يُعتقد أن النساء المتعلمات قد يرفضن الزيجات المدبرة، ويحرمن الأسرة من الحصول على مهر العروس، فمن أقوال رجال الماساي:

"عندما أقوم بتعليم سيداتي، سيرغبن في اختيار أزواجهن"

"When I educate my ladies, they will want to choose their husbands".

ولكن فعلي الرغم من أن معدلات التعليم أقل من المتوسط الوطني؛ ومعدلات التسرب أعلى، ومعدلات النجاح أقل وعدد الأشخاص الذين ينتقلون إلى التعليم العالي والتدريب قليل و تأثير التقاليد والمورثات واضح على أدوار الرجال والنساء في مجتمع الماساي، لكن تحدث العديد من التغييرات المهمة، فعند عمل مسح ميداني لمجموعة لرجال ونساء الماساي اتفق جميع المستجيبين على أن الدافع الأكبر للتغيير الذي حدث في شعب الماساي كان التعليم .[1]

[1] -Jennifer Sharp and Laangakwa Twati,op.cit. p.,16

ومثال علي ذلك "**إستير**" إحدى فتيات الماساى ذات السبعة عشر عاماً، وهى أصغر فتاة في الاخوات الخمسة في أسرتها، وكانت تدرس في إحدى المدارس القليلة للماساى في جنوب كينيا هي فتاة طويلة ونحيلة وتتمتع بثقة كبيرة في النفس ربما لأنها من الفتيات المعدودة التي التحقن بالتعليم من بنات الماساى ،وقد أراد والدها أن تخرج من المدرسة لتتزوج وتستفيد الأسرة من قيمة المهر من "الابقار والماعز" وهى من العادات الموروثة في ثقافة الماساى ولكن "إستير" كانت مرتبطة بشدة بمدرستها وصديقاتها وحبها للتعليم فهربت في "يوم عرسها" إلى منزل أختها المتزوجة وكانت وقتها بعمر أربعة عشر عامًا واستمرت في الذهاب للمدرسة ولكن والدها أبلغ الشرطة حيث قام الضابط بإحضارها من المدرسة لمنزل والدها وكانت "إستير" قد أبلغت أحد المراكز الحكومية العاملة في مجال حماية الفتيات من الزواج المبكر طبقًا لقانون منع الزواج المبكر الذى صدر في كينيا عام ٢٠٠٢ الذى وفر لها السكن والحماية ومصروفات المدرسة لاستكمال تعليمها، فى أحد المراكز العاملة في هذا المجال وقد حاول والدها استردادها من المركز، ولكنها رفضت بشدة، مما جعل الأب يتبرأ منها ومنعها من دخول البيت مرة أخرى ولم يرضى عنها والدها إلا بعد ثلاث سنوات وبعد أن أثبتت تفوقها في المدرسة كما أقنعته مديرة المركز أن تفوق أبنته "أستير"، سيضمن لها مستوى معيشة جيد من خلال إمكانية حصولها على عمل مناسب في المستقبل، وهو ما يؤكد تمسك بنات الماساى بالتعليم مهما كانت العقبات.[١]

[1] -Caroline S. Archambault, Ethnographic Empathy and the Social Context of Rights: "Rescuing" Maasai Girls from Early Marriage, the American Anthropological Association. December 2011, Volume113, Issue4, pp., 632-633.

Conclusion الخلاصة

من خلال المنظور الاجتماعي والأنثروبولوجي تعددت نظم الزواج عند الماساي وتمر بالعيد من المراحل وتخضع لعدة نظم خاضعة لما لديهم من الموروث من التقاليد والعادات التي يعيشها مجتمع الماساي والتي يكون فيها دور المرأة ضعيف ومهمش وخاصة في مساحة اتخاذ قرار الزواج وأن كان مع احتكاك وتلامس شعب الماساي بالشعوب والحضارات والمجتمعات الأخر قد أدخل علي هذا المجتمع ونظم وتقاليد الزواج تأثر بما لدي المجتمعات الأخرى من عادات وتقاليد لم تكن معروفة في مجتمع الماساي من قبل.

إن نظم الزواج عند الماساي شأنها شأن نظم الزواج في المجتمعات الأفريقية الأخرى فهي لا تمثل حدثا واحدا فقط، بل سلسلة من الأحداث المتسلسلة، بحيث تمهد كل مرحلة بشكل منطقي إلى المرحلة التالية في العملية، مما يعكس لنا القيمة الاجتماعية والثقافية التي تضيفها على مؤسسة الأسرة وعلى مجتمع الماساي.

قائمة المراجع

المراجع العربية والأجنبية ومواقع الأنترنت

- ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، بيروت،٢٠١٠
- أحمد أبو زيد، البناء الاجتماعي، مدخل لدراسة المجتمع، الاتساق، ج ٢، ط ٣، الإسكندرية، ١٩٧٩
- ايفانز برتشارد، الأنثروبولوجيا الاجتماعية، ترجمة، أحمد أبو زيد، ط٢، الإسكندرية، ١٩٦٠
- بترأتيكيريزا، التغيرات الطارئة علي عملية الزواج لدي الباكيجا بجنوب غرب أوغندا، ترجمة، محمد جلال حسين، مجلة الفنون الشعبية، عدد خاص ، أفريقيا ، عدد ١٠٥ ، أكتوبر –ديسمبر، القاهرة ، ٢٠١٩.
- خيري عبد الحافظ بدير، في بحور الأنثروبولوجيا، المكتبة الأكاديمية، القاهرة،٢٠٠٨
- فاطمة حسن محمود، مقارنة الوحدات التصميمية الزخرفية في الإكسسوارات والزينة التقليدية لدى قبائل جبال النوبا السودانية وقبيلة الماساي الكينية، رسالة ماجستير، غير منشور، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، الخرطوم ٢٠٢٠
- ناصر كرم الحاوي، دراسات عن الماساي المجلة الأفريقية للعلوم والسياسة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة،.٢٠١٢

- Caroline S. Archambault, Ethnographic Empathy and the Social Context of Rights: “Rescuing” Maasai Girls from Early Marriage, the American Anthropological Association. December 2011, Volume113, Issue4

- Daniel Salau, Globalization Entrenches Itself on the Maasai, Global Policy Forum, New York, USA, September 2002

- Elias Yesaya Mollel, Thesis submitted in Partial Fulfillment of the Degree of Master Program in Global Studies, School of Mission and Theology, Oslo, Norway, May 2011

- Jandt Fred, An Introduction to Intercultural Communication: Identities in a Global Community (fifthed), International Journal of Intercultural Relations, California USA, 2007

- Jennifer Sharp And Langkawi Twati, Documentation of Maasai Culture, December 2016

- Koissaba Ben R, Globalization and Its Impact on Indigenous People in Kenya, Clemson University, Clemson City, USA, December 2012

- https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/نظام/
- https://ar.wikipedia.org/نظام
- https://www.manhal.net/art/s/3696
- https://mawdoo3.com/تعريف_النظام
- https://www.aranthropos.com/الزواج-في-إفريقيا-النسق-القرابي-وطريق/
- www.marefa.org.
- http://ciaes.net/أثار-العولمة-على-المرأة-في-شعب-ماساى/
- http://www.manar.com/page-42127-ar.html
-